/ الفن ومحاكاة الجمال عند افلاطون :(الشعر ، الخطابة ، الموسيقى ، التصوير ، النحت)

لو رجعنا الى أكثر تفسيرات الشائعة عن نظرية الفن عند افلاطون فسوف نجد أنها قد حطت من شأن الفن حين اتخذت بظاهر العبارة القائلة بأن الفن محاكاة- غير أنه يبدو لنا وصف شيء ما بأنه محاكاة لا يكفي لذمه أو لمدحه لما تحمله المحاكاة عند افلاطون من تفسيرات لنوعها وقيمتها .

ذلك أن آراء أفلاطون في الفن والجمال إنما ينبغي أن تفسر على ضوء سياق فلسفته التي توجت الوجود كله بعالم المثل . وقد وصف افلاطون الفيلسوف أنه يحاكي ، والسفسطائي بأنه يحاكي ، والخطيب والشاعر والفنان كل منهم يحاكي ، ولكن ما حقيقة المحاكاة عند كل من هؤلاء ؟

هناك محاكاة تعتمد على المعرفة ويصاحبها الصدق ، فهي اقرب ما تكون الى التعبير الصادق الذي يلتزم بالحق ويحقق الجمال ، وهناك محاكاة لا تصاحبها معرفة وثيقة بحقيقة الأصل الذي تحاكيه و أنما هي نقل آلي يعتمد على التمويه ويخلو من الحق والجمال على السواء .

وهذه المحاكاة الاخيرة التي لا تعتمد على الحق ولا تمت الى الجمال ولا الى الخير بصلة قد ينجح صاحبها في خلق اللذة، ولكنها لذة الجهال والسذج . وهو قد ينجح في ادخال السرور على العامة ولكنه لا ينجح أبدا في التعبير عن الجمال الفني الحق ان هذه المحاكاة نوع من الخداع يوهم صاحبها الناس أنه يقدم لهم الخير والمتعة ، وهو في الواقع مزيف يموه الخير والجمال .

وافلاطون يميز بين نوعين من الفن الاول يأخذ بالمحاكاة السطحية أي بالمعنى الشائع للمحاكاة ، والثاني فن بصير يأخذ بمحاكاة مستنيرة لأنها تنطوي على علم من يمارسها بما يجب عليه أن يحاكي من مثل للخير والحق والجمال ، وهذه المحاكاة لا توجد الا لدى الفنان ذي الثقافة الفلسفية الواسعة ، ربيب آلهة الفن وربات الشعر مؤثر الجمال الذي يحسن التعبير عنه فيخرج فنه محققاً للخير والجمال على السواء .

وهنا نلتقي بمهمة الفن الجيد بمهمة الفن الجيد بالفلسفة ،ويرتبط الجمال الفني بالحقيقة المثالية. ويقول لابد أن تتعلق المحاكاة الصحيحة بحقيقة مثالية لا بصورة حتى تأتي بتصوير معبر عن الاصل قدر الامكان . ولم يعد أفلاطون أمثلة توضح هذه النظرية في المحاكاة في فن عصره .

الشعر :

قد كان الشعر عند اليونان أسمى أنواع الفنون لم يطلق وله وظيفة اجتماعية واخلاقية كبرى ويعد من دعائم التربية وكان الشعراء يعدون معلمين فقد وجه افلاطون اهتمامه الى الشعر ويعترف بأن للشعر مكانته السامية في نفس الانسان ، ألا أن افلاطون كان له موقف سلبي من الشعر والشعراء .

فلم يطلق أفلاطون حكمة الجائز على كل أنواع الشعر ، بل خص الشعر التمثيلي بهجومه واستثنى الشعر الغنائي والملحمي والتعيلمي لأن المحاكاة في الانواع لا تتجه الى نقل المحسوسات المتغيرة ، بل هي تعبير صادق عن قيم الحق الخير والجمال حين تتخذ موضوعاتها من مدح الالهة والابطال والتغني بصور المجد و البطوله والارشاد الى المثل العليا التي الهمت أمثال ترتاريوس وبندراوس بأروع القصائد الغنائية .

وكذلك الشعر التمثيلي الذي يقدم للناس انهزام البطل ومأساته أو يقدم الهزل الذي يجري في حياة الناس اليومية أو يصور الاحاسيس والانفعالات التي تجري في شعور الفرد العادي وقد وضع افلاطون هذه الفكرة وأكدها حين نادى بضرورة التخصص وبضرورة تمسك كل فئة من الناس بوضعها الطبيعي وفي ذلك يقول :"وكذلك سوف تمتاز دولتنا دون غيرها من الدول بأن الاسكافي سيظل اسكافيا بها ، وليس ربانا يجمع قيادة السفن مع السكافة ، والزراع فيها زراعاً وليس قاضياً...وإذ حل بدولتنا إنسان بارع في الظهور بكل الصور ومحاكاة كل شيء

وأراد عرض قصائده على الجمهور فإننا سنكرمه تكريم قديس بارع ولكننا سنخبره أن ليس لمثله مكان في دولتنا وسنقصيه الى دولة اخرى بعد أن نسكب العطر على رأسه".

والى جانب ما تسببه المحاكاة في الشعر الدرامي من تأثير على طبيعة من يمارسه فأن لها خطراً اَخر على اتزان النفس ، ذلك لأن : من الواضح ان الشاعر المحاكي لا يخاطب المبدأ العاقل في النفس وهو غير قادر على استخدم موهبته لإرضائه ذلك لأنه يضع نصب عينيه إرضاء الجمهور ، إنه لا يهتم إلا بالجزء الانفعالي المتقلب في الخلق ذلك الجزء الذي يسهل تقلده .

وكذلك تظهر خطورة المحاكاة في الشعر الدرامي بوجه خاص لأنه ابعد أنواع الشعر عن التعبير عن الحقيقة الثابتة للخير والحق فهو شعر الشاعر المتقلب الذي يمثل كل شيء وهو شعر يظهر فيه خطر المحاكاة التي يجهل حقيقتها من يمارسونها .

الخطابة:

أما الخطابة فقد اهتم افلاطون بتصحيح مفهوما المشوه لدى السفسطائيين . لقد اعتبرها جورجياس اشرف الفنون لأنها توفر لصاحبها الخير الاعظم والخير الاعظم هو السيطرة على الاخرين ، ولا يحظى بالسيطرة على الاخرين الا من يملك القدرة على الاقناع ، اقناع القاضي بالمحكمة واقناع ممثلي الشعب في البرلمان ، واقناع الجماهير في الاجتماعات العامة.

ويبين افلاطون ان الخطابة انها فن الاقناع ،والاقناع الذي توفره الخطابة اعتقاد وليس علماً لأن الخطيب ليس في وضع يمكنه من اعطاء دروس في العدالة او الحكمة او السياسة لكنه قادر على التأثير بالمستمعين وحملهم على الاعتقاد بصحة الرأي الذي يتبناه.

وعلى هذا الاساس ، بما ان الخطابة تهدف الى اقناع المستمعين بصحة المسألة وليس الى تزويدهم بالمعرفة الحقة ، فقد وجب اعتبارها مهارة بغيتها إيجاد اللذة شأنها في ذلك المهارة

في الطبخ ، ولا ينبغي اعتبارها فناً من الفنون .ولا ينبغي أن يكون هدف الخطابة مجرد التأثير في نفوس الناس دون التفات الى نوع الأثر وصحته بل ينبغي أن يكون هدفها سامياً الى ايجاد الانسجام في النفوس والحث على الفضيلة والاخلاق. فهي فن من الفنون الخداعة ولكي يكون لها هدف سامٍ ليس فقط التأثير على النفوس بل ايجاد الانسجام في النفوس والحث على الفضيلة فالخطابة الجيدة هي التي تقترن بالحقيقة وتوجه النفس البشرية نحو طريق الصواب .

<u>الموسيقى:</u>

قدم افلاطون نظرية في الموسيقى ، وقد رجع افلاطون في هذه النظرية الى التراث الفيثاغوري التي ترى في الموسيقى طريقة لتطهير النفس وتهذيبها بل كانت تستخدم في العلاج .ويقرر افلاطون بوضوح في الجمهورية أن الموسيقى يجب أن تعبر عن الجمال والحقيقة في صورة سهلة حتى يقنع بها العقل ، لأن الموسيقى كما يقول يجب أن تتجه في النهاية الى حب الجمال .

فالموسيقى عند افلاطون لم تكن تهدف الى بعث اللذة الاستطيقية وحدها بل كان لها هدف أسمى هو التأثير على النفس بحيث تكسبها ائتلافاً واتزاناً غايتها تحقيق الخير.

وكان يدخل الى جانب اللحن والايقاع عنصر اللغة وهو عامل يوضح افلاطون قيمته بالنسبة للمضمون الاخلاقي الذي كان ينطوي عليه الغناء المصاحب لفن الموسيقى .وكان الرقص عاملا اَخر يضاف الى هذه العناصر لتأكيد هذا المضمون بالحركة الانسانية ، وليس أدل على هذا التعبير عن حقيقة مثالية ومن اجل التسامي بالنفس الانسانية فكانت تمتاز الموسيقى الاسبرطية عنايتهم بالموسيقى والشعر لم تكن أقل من عنايتهم بالتربية الاخلاقية وكان لأغانيهم طابع حماسة كما ان موضوعاتها كانت دائما أخلاقية فأكثرها يدور حول تمجيد الابطال الذين استشهدوا في سبيل أوطانهم وتأنيب الجبناء وكان فيها دعاء وتأكيد وقيم من المواطنين في

جميع الاعمال ، فكانوا مثلاً ينقسمون في الاحتفالات والاعياد الى ثلاث مجاميع مجموعة الكهول ومجموعة الشباب ومجموعة الاطفال .

فالموسيقى من حيث المضمون كما يرى افلاطون يجب ان تخلوا من الحزن والشكوى والانغام الباعثة على الكسل والاسترخاء ويجب ان تحكي لهجة محارب او عامل عنيد نشيط لايهاب الصعاب ، او رجل مسام يحاول أن ينير بتعاليمه العقول أو يهدي الى الله .

اي انه يشجع على نوعين من الموسيقى ، الموسيقى الهادئة التي تحقق الانسجام في النفس والموسيقى الحربية التي تثبت روح الحماس في نفس الجندي ، فهو يرى ان في الموسيقى فن ينطوي على قيمة اخلاقية .